كلاسيكيات مُبسطة

شيرلوك هولمز

مغامرة المحقق المحتضر



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
شيرلوك هولمز
مغامرة المحقق المحتضر
السير آرثر كونان دويل
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

شيرلوك هولمز

كلاسيكيات مبسطة للأطفال

كائنات، ورموز وقضايا مثيرة



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

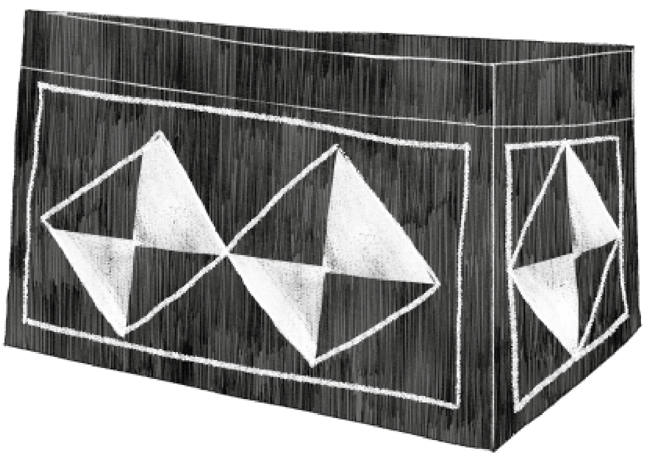
تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

شيرلوك هولمز

مغامرة المحقق المحتضر



السير آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...ليست مجرد مكتبة
not just a Bookstore...

الفصل الأول

«السيد شيرلوك هولمز يحتضر!».

نظرت برعب إلى السيدة هدسون، صاحبة المنزل الواقع في 221 ب شارع بيكر، الواقفة أمام عتبة منزلي في ميدان لاتيمر، المنزل الذي أعيش فيه الآن أنا وزوجتي.

بدت السيدة هدسون مرعوبة جدًّا؛ فقد كانت تضغط على يديها، وتسحب كُمَّيها بينما كانت الدموع تنهمر على وجهها. وكانت عربة الأجرة التي أوصلتها إلى هنا تنتظر خلفها كي أعود معها إلى شارع بيكر.

عربة أجرة يجرها الحصان

هي وسيلة نقل عام سريعة ورخيصة نسبيًّا، ومناسبة لشخصين، يمكنها السير في المنعطفات بسرعة دون أن تنقلب، رغم أنها تسير على عجلتين فقط. يجلس السائق في الخارج في الجزء الخلفي من العربة، حتى يتمكن الركاب من إجراء محادثاتهم الخاصة. وثمة خيار آخر هو العربة الكابينة ذات الأربع عجلات، وتسبب ضوضاء شديدة تصدرها في أثناء سيرها فوق الحصى. وهي مفيدة للمجموعات المكونة من أكثر من شخصين، أو عند اصطحاب الأمتعة.

قالت السيدة هدسون: «إنه يحتضر يا دكتور واطسون؛ فطوال ثلاثة أيام لم تزدد حالته إلا سوءًا. لا أعتقد أنه سيعيش حتى الصباح. وهو لا يسمح لي بأن أُحضر الطبيب، ولكن عندما رأيت مدى تدهور صحته ومدى نحافته هذا الصباح، أصررت على أن أُحضر الطبيب، فوافق على أن يكون أنت».

قلتُ: «سأحضر أغراضـــــي على الفور». ودخـــلت المــــــــنزل، وسارعت بإحضار حقيبتي، وسحبت معطفي من شماعته بقوة لدرجة أنني كدت أحدث ثقبًا في ياقته، ثم ودعت زوجتي، وخرجت من المنزل.



أثناء جلوسي في العربة تبادرت إلى ذهني أفكار مروعة. ما الخطأ؟ ماذا حدث؟ هولمز العزيز يحتضر؟ مجرد التفكير في هذا جعلني أشعر بدوار.

بدت الرحلـــة بطيئــة لا تنتهـــي على الرغم من قصر المسافة بين المنزلين، ما جعلني أحث السائق على الإسراع.

كانت السيدة هدسون المسكينة في حالة يُرثى لها. ورغم أنه سبَّب لها مشكلات لا نهاية لها، فإنه أحد أعز أصدقائها. لقد تحملت كل الفوضى والتجارب الكيميائية التي كان يُجريها، ومن يعلم كم عدد المرات التي اضطرت فيها إلى الاعتذار للجيران عن الروائح الكريهة والانفجارات الصغيرة وأصوات إطلاق النار القادمة من منزل 221 ب بشارع بيكر. ناهيك عن جموع الأشخاص الذين يأتون لرؤيته، الذين منهم المحترمون ومنهم أيضًا المريبون المشبوهون.



التفتُّ إليها وأجبرت نفسي على الابتسام، وقلت: «سيكون كل شيء على ما يرام يا سيدة هدسون. هلاَّ فقط تخبرينني بالتفاصيل».

قالت وهي تمسح دموع عينيها: «ليس لديّ الكثير لأُخبرك به يا سيدي. لقد كان يعمل في بعض الأزقة بالقرب من المرسى بجنوب لندن، وقد أصيب بعدوى. هذا ما يقوله. وحينها لازم الفراش منذ يوم الأربعاء ولم يبرحه من حينها، ولم يتناول أي طعام أو شراب منذ ما يقرب من ثلاثة أيام».

شعرت بالرعب مما قالته، فقلتُ لها: «كان عليكِ الاتصال بالطبيب في وقت أبكر».

المرسى

هـو منطقـة مائيـة، عـادة ما تكـون علـى حافـة نهـر أو بحر، تُسـتخدم لتحميـل وتفريـغ القـوارب، وإصـلاح السـفن الكبيـرة. ومراسـي لنـدن الفيكتوريـة دائمًـا مـا تكـون مزدحمـة؛ فهـي مليئـة بالنـاس والأوسـاخ والمـرض والجريمـة! قـد تجلـب السـفن الآتيـة مـن جميـع أنحـاء العالم المحملـة بالبضائـع إلـى إنجلتـرا، أمراضًـا جديـدة بالخطـأ. كمـا تعـد المراسـي مكانًـا جيـدًا للبحث عـن المجرميـن الهاربيـن - فقد فـر العديد مـن المذنبيـن إلـى المراسـي للصعـود علـى متـن السـفن للهـروب مـن العقـاب.

ردت قائلة: «أنت تعرف عِناده يا دكتور واطسون! ولم أجرؤ على عصيانه حتى اليوم».

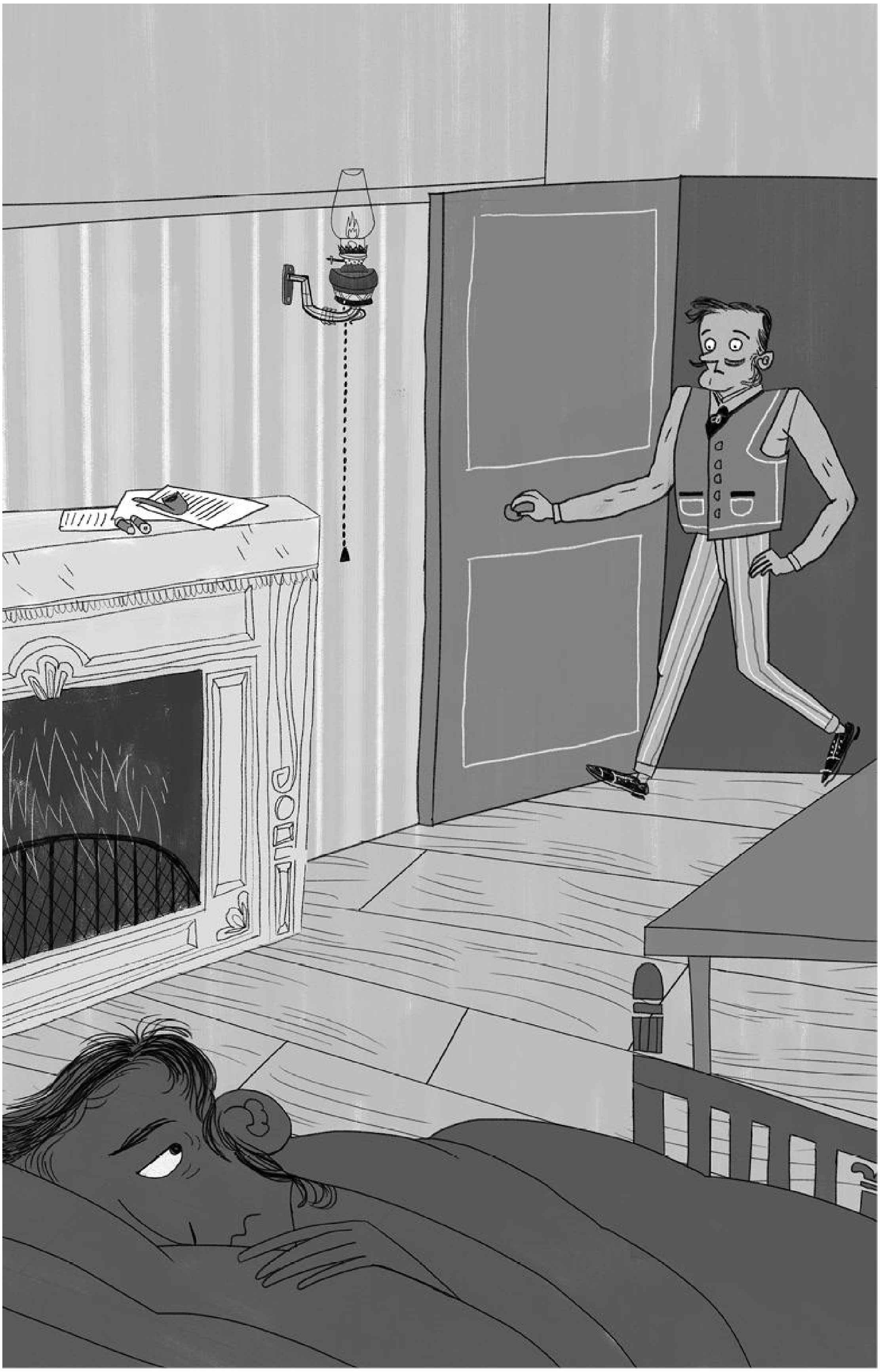
عندما وصلنا إلى شارع بيكر رأيت بأم عيني الحالة المروِّعة التي كان عليها هولمز.

في الضوء الخافت لهذا اليوم الضبابي من شهر نوفمبر، كانت غرفة نومه كئيبة. بدا كل ركن في الغرفة قاتمًا وبائسًا، كما لو سُحب منها كل ألوانها وحيويتها. ظل هولمز طريح الفراش، يحدق إليَّ بوجهه النحيل الهزيل؛ ما بث في قلبي الخوف والرعب.

كانت عيناه تلمعان من الحمى، واشتدت حمرة خديه من آثارها، وبدا جلده جافًّا ومتقشرًا مثل ورق الحائط القديم، وثمة قشور داكنة متناثرة حول شفتيه، وكانت

يداه النحيلتان ترتعشان على ملاءة السرير. عندما دخلتُ الغرفة لمعت عيناه قليلًا.

قلتُ وأنا أقترب من السرير: «صديقـــي الغالــي!».



قال على الفور: «قف مكانك! قف عندك! إذا اقتربت مني يا واطسون فسوف أطردك من المنزل». كان صوته لا يزال يحمل بعضًا من الحدة.

سألته: «لماذا؟».

رد هولمز: «تلك رغبتي، أليس هذا كافيًا؟».

كانت السيدة هدسون محقة فعلًا؛ فلا تزال قوة شخصيته موجودة رغم وهن جسده هذا.

قلتُ: «أنا أريد مساعدتك، فأنا طبيب. دعني أفحصك».

قال: «لا أريد منك أن تفحصني»، وسعل بصوت عالٍ وقال: «إذا كنت تريد مساعدتي فنفِّذ ما أطلبه منك».

تراجعتُ للخلف وقلت: «بالطبع يا هولمز».

هدأ هولمز قليلًا.

ثم قال متذمرًا: «هذا لمصلحتك يا واطسون».

فقلتُ له: «لقد اقتربتُ من العديد من المرضى يا هولمز، كما تعلم. أنا منزعج لأنك لا تدعني أساعدك».

رد هولمز: «أنا أعرف ما أصابني؛ إنه مرض من إندونيسيا. لا أحد في إنجلترا يعرف الكثير عنه، ولكن يوجد أمر مؤكد، وهو أنه مميت، كما أنه سريع العدوى».

الفصل الثاني

تحدث هولمز بنبرة محمومة، يداه الطويلتان ترتعشان وهو يلوح لي لكي يبعدني.

وقال: «إنه مُعدٍ عن طريق اللمس يا واطسون. حافظ على مسافة بيني وبينك، وسيكون كل شيء على ما يرام».

قلتُ: «يا إلهي! هولمز، هل تعتقد أنني قلق بشأن إصابتي بمرضك؟ حتى لو كنتَ غريبًا لساعدتك. لا شيء يمكن أن يمنعني من مساعدة أعز أصدقائي».

ثم تقدمتُ للأمام مرة أخرى، لكن هولمز نظر إليَّ بغضب عارم، وقال: «إذا تراجعت للخلف فسأتحدث معك، ولكن إذا اقتربت أكثر فسوف أطردك من الغرفة».

عادةً ما أرضخ لما يطلبه هولمز، حتى لو لم أفهم أسبابه. لكن ليس هذه المرة؛ لا يمكنني هذه المرة تجاهل غرائزي كطبيب.

قلتُ له: «هولمز، أنت لست في حالتك الطبيعية. المريض يشبه الطفل تمامًا؛ لا يفهم ما هو الأفضل له. وسواء وافقت أم لم توافق، سأفحص الأعراض لديك وسأعالجك منها».

نظر إليَّ بعينين غاضبتين وكان وجهه ملتويًا كثعبان على وشك الانقضاض على فريسته.

ثم قال: «حسنًا، إذا كان لا بد أن يفحصني طبيب سواء شئت أم أبيت، فدعني على الأقل أحصل على شخص أثق به».

وقعت كلماته على مسامعي كسكين غُرزت في قلبي. فقلت: «ألا تثق بي؟».

رد قائلًا: «أثق بصداقتك بالتأكيد. ولكن انظر إلى الحقائق يا واطسون؛ أنت مجرد طبيب عام، ولديك خبرة محدودة جدًّا ومؤهلات متوسطة. يؤلمني قول ذلك، لكنك لم تدع لي خيارًا آخر».

وقفت بصمت مذهولًا ومتألمًا جدًّا من كلماته.

ثم قلتُ: «لم أعتقد قط أنك قد تقول لي هذا الكلام يا هولمز؛ فهذا يُظهر بوضوح شديد إلى أي درجة وصل مرضك. لكن إذا كنت لا تثق بي فدعني أحضر السير

جاسبر ميك أو بنروز فيشر؛ إنهما أفضل طبيبين في لندن وخبيران في الأمراض المعدية. لا بد أن يعالجك أحدهما، وهذا قرار نهائي. فإذا كنت تعتقد أنني سأقف مكتوف الأيدي وأراك تحتضر دون أن أساعدك بنفسي أو أجد شخصًا آخر لمساعدتك، فأنت لا تعرفني يا هولمز».

وقفتُ وبدأتُ أفرك قبضتي بيدي لتهدئة نفسي بعد خطابي القوي.

فقال هولمز بتأوه: «أنت تريد خيرًا يا واطسون، ولكن مرضي لا يمكن أن يُعالجه أي طبيب في لندن، وأنا متأكد من ذلك. صدقني، لا يمكنك فعل أي شيء».

قلتُ: «ربمـــا لا يمكـــنني أنـــا معالجتك، ولكني أعلم أن الدكتـــور أينتـــري، أعظم خبراء العالم فـــــي أمراض المناطـــــق الاستـــوائية، موجـــود في لندن في الوقت الحالي. بغض النظر عما تقوله، أنا ذاهب لإحضاره». وخرجت فورًا من غرفة نوم هولمز، والتقطت حقيبتي، واتجهت نحو باب الدرج لأرى- «هولمز!».



ففي لحظة، قفز الرجل المحتضر أمامي كالنمر، ثم سمعت نقرة مفتاح يدور في القفل ليغلقه. بعدها عاد مترنحًا إلى غرفة نومه ورقد في سريره، مرهقًا لاهثًا بعد موجة الطاقة التي بذلها تلك.

ثم قال بأنفاس مرتجفة متقطعة: «لقد نلت منك يا صديقي. لن تأخذ المفتاح مني بالقوة. ستبقى معي في هذه الغرفة حتى أسمح لك بالذهاب. أعلم أنك تفكر في مصلحتي، أنا بالطبع أعي ذلك. سأدعك تفعل ما تريد، ولكن ليس الآن يا واطسون. إنها الرابعة الآن. يمكنك الذهاب في الساعة السادسة».

صرختُ قائلًا: «هذا جنون يا هولمز!».

رد قائلًا: «إنهما ساعتان فقط يا واطسون. أعدك بأنه يمكنك الذهاب في الساعة السادسة. ألا ترغب في الانتظار؟».

قلتُ: «يبدو أنه ليس لديَّ خيار آخر». وجلست على كرسي عند نهاية سرير هولمز، لكنني لم أستطع الاسترخاء. كيف يمكننا أن نضيع الوقت القليل المتبقي له؟ حينها شعرت بالعجز الشديد.



همس هولمز، وبعينيه لمعة من بريقها القديم، قائلًا: «أنت على حق يا واطسون، ليس لديك خيار على الإطلاق. الآن انتبه إليّ، عندما تذهب لطلب المساعدة، لا تذهب إلى الأطباء الذين ذكرتهم، بل إلى الرجل الذي أختاره».

قلتُ موافقًا: «حسنًا، بالتأكيد».

قال هولمز مبتسمًا: «هاتان أول كلمتين معقولتين قلتهما منذ دخولك الغرفة».

تنهدتُ والتفتُّ بعيني.

ثم تابع بعد أن تثاءب: «الآن، ثمة بعض الكتب في غرفة الجلوس إذا كنت بحاجة إلى شيء لتقرأه. فأنا أشعر بالإعياء والاستنزاف؛ لذا سآخذ قيلولة، ثم في الساعة السادسة سنستأنف حديثنا».

الفصل الثالث

شعرت بالقلق الشديد لدرجة تمنعني من الجلوس أو القراءة؛ لذا نهضت من الكرسي، ووقفت لبضع لحظات أنظر إلى مريضنا العليل وهو طريح الفراش هكذا. بدا هولمز كأنه يغط في نوم عميق، ووجهه مغطّى بالملاءة بالكامل تقريبًا.

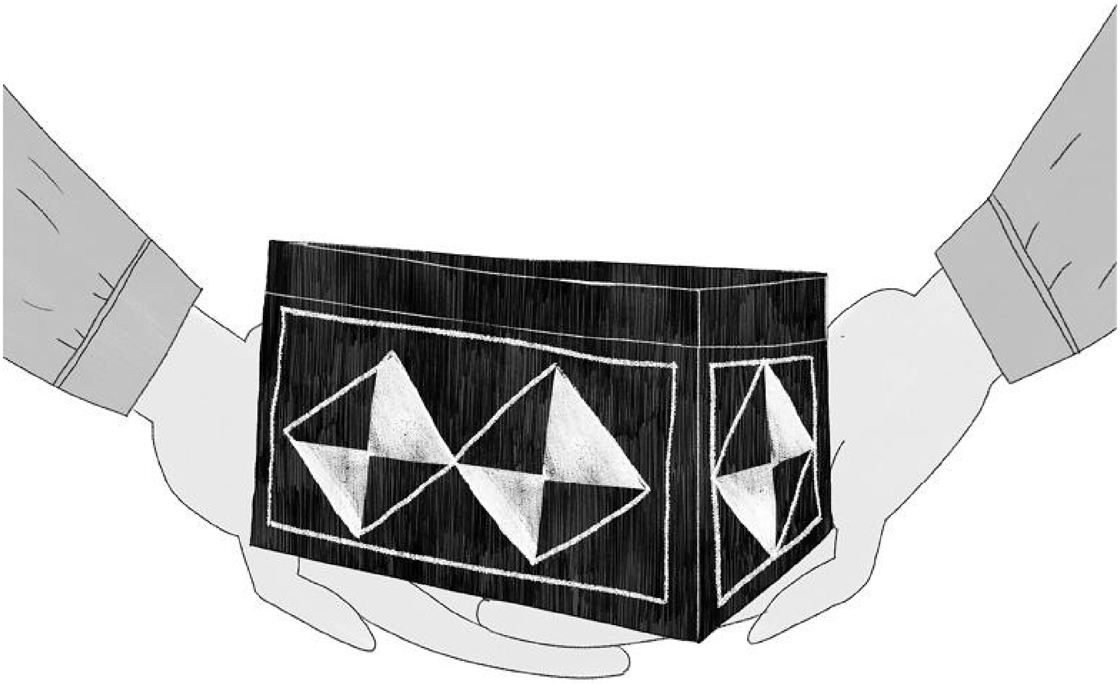
بدأت أتجول ببـــــطء في غرفة الجلوس، أنظر إلى صور المجرمين المشهورين المعلقة على جميع الجدران. لقد أعادت تلك الصور لنا ذكريات عن بعض القضايا التي عملنا عليها معًا. كانت هناك صورة دكتور رويليت الذي قتل ابنة زوجته بثعبان قاتل لكي يستولي على أموالها، ثم صورة ذاك الرجل الذي حاول تهريب الجوهرة النفيسة في عنق الإوزة. تنهدت عندما تذكرت مغامراتنا.

ثم عدت مرة أخرى إلى غرفة هولمز. وكنت على وشك إشعال نيران المدفأة عندما لفت انتباهي شيء موضوع على رفها. كان السطح الخشبي للرف مغطى بالكامل ببواقي غليون ومذكرات وصحف قديمة وذخيرة مسدس وغيرها من الفضلات. ولكن وسط هذه الفوضى المبعثرة ثمة صندوق صغير باللونين الأبيض والأسود له غطاء منزلق. لقد أثار الصندوق فضولي بشدة، فمددت يدي لالتقاطه.



«آاااااااااااااااه».

قطعت الصرخة المدوية صمت الغرفة المظلمة، وأيقظت كلب الجيران الذي كان ينبح بصوت عالٍ، فالتفتُّ على الفور لأرى عيني هولمز المسعورتين تحدقان بي بغضب شديد، رافعًا أحد أصابعه مشيرًا إلى الصندوق الذي بيدي.



وقال: «اتركه من يدك! ضعه مكانه حالًا يا واطسون!».

وبعد ذلك، وكما استيقظ هولمز فجأة، وضع رأسه على الوسادة مرة أخرى، وغاص فيها كما لو كان بالونًا تم إفراغ الهواء منه. ثم أطلق تنهيدة عميقة تنمُّ عن ارتياح عندما وضعت الصندوق مكانه على رف المدفأة.

ثم قال: «أنا أكره أن يعبث الناس بمقتنياتي يا واطسون. إنه تململك هذا قد يدفع أحدهم للجنون. اجلس يا رجل، ودعني أَسْتَرِحْ».

لم أعتد هذا الانفعال من هولمز؛ فكثيرًا ما كان ينزعج مني، لكن كلماته لم تكن قط بهذا القدر من الحدة.

جلست في صمت أنظر مرارًا وتكرارًا إلى الساعة منتظرًا وصول عقاربها إلى السادسة.

لا بد أن هولمز كان ينتظر حلول الساعة السادسة أيضًا؛ لأن الجرس بمجرد أن بدأ يدق بدأ يتحدث. كان صوته محمومًا وكانت يداه ترتعشان بسرعة تفوق سرعة نبضات قلب الطائر الطنان.

قال هولمز: «الآن يا واطسون. هل لديك أي عملات معدنية في جيبك؟».

أجبتُ: «نعم، معي الكثير منها».

سأل: «كم عملة لديك من فئة نصــف الجنيه؟».

قلبتُ في جيبي، وأخرجت حفــنة مـــــــن العملات المعدنية.

ثم قلتُ: «لديَّ خمس».

رد هولمز: «آه، قليل جدًّا، ليس كافيًا! يا له من أمر مؤسف يا واطسون! ولكن، من فضلك ضعها في جيب ساعتك، ثم ضع بقية النقود في الجيب الأيسر لبنطالك».

فعلتُ كما طلب.

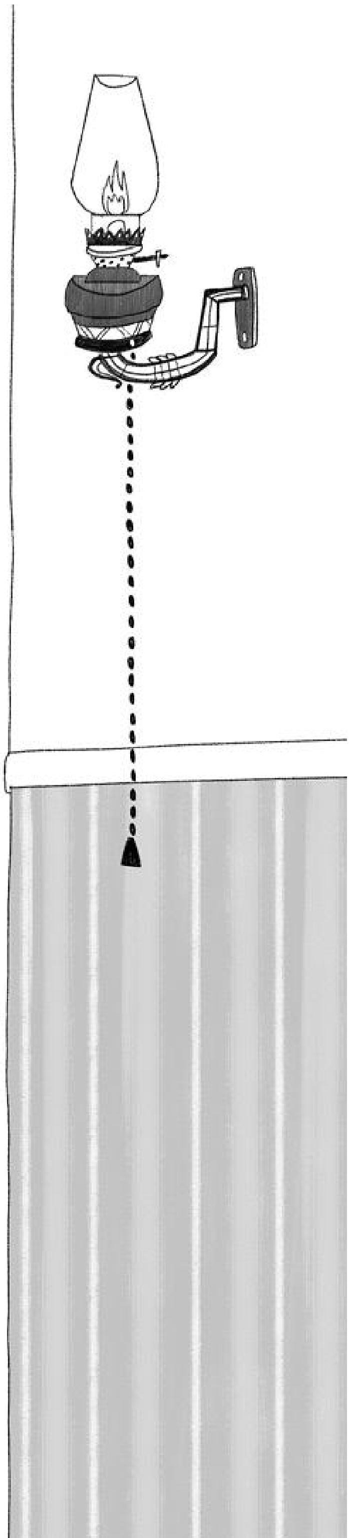
تابع هولمز: «شكرًا لك. سيحقق لك هذا توازنًا أفضل».

حدقت إلى هولمز بِحَيرة شديدة. كان هذا جنونًا!

أكمل قائلًا: «لن يكون جيدًا أن تسير بشكل غير متوازن يا واطسون. هناك عدد كبير جدًّا من العملات المعدنية في جيب واحد، وقد يجعلك هذا تسقط».

ثم ارتجف فجأة، كما لو أن تيارًا باردًا أصاب عموده الفقري، وأخذ يصدر صوتًا خفيفًا بين السعال والنحيب.

ثم قال: «الآن، من فضلك يا واطسون، هلا تشعل مصباحَي الغاز، لكن كن حذرًا جدًّا بحيث لا يشتعل أي منهما أكثر من نصفه. هذا مهم حقًّا».



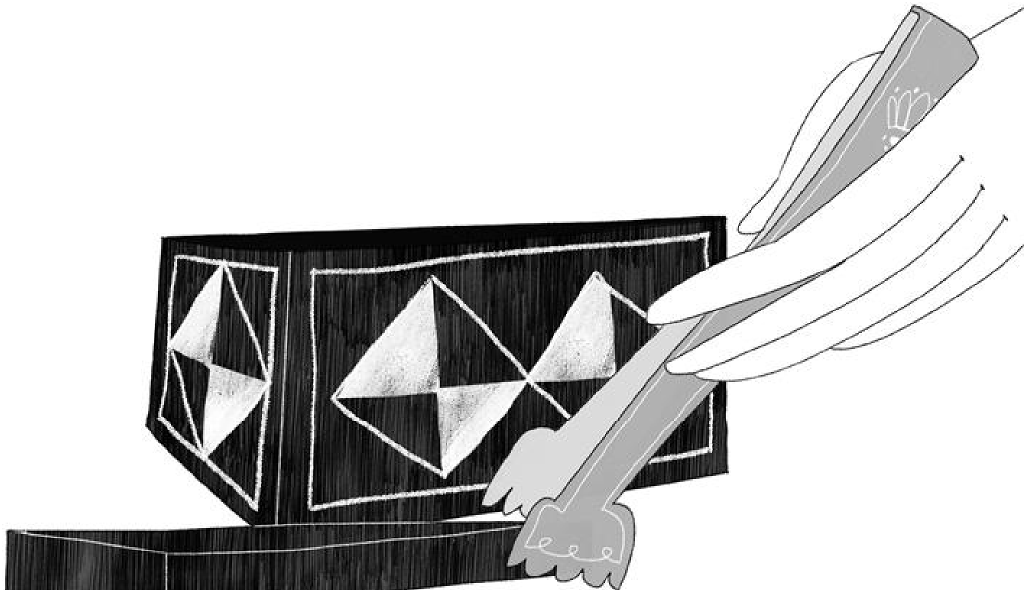
نهضتُ مـــن مكانـــي، وذهبت إلى مصباحَي الغاز الموجودين على الجدران، وأشعلت أعواد الثقاب، وبها أشعلت الفتيل الموجود داخل الكُرات الزجاجية، ثم قمت بسحب السلاسل الصغيرة بعناية لتشغيل مصدر الغاز، وتأكدت من عدم إشعال أكثر من نصفه.

قال هولمز عندما اشتعل المصباحـــــــان وتوهجت النيران منهما: «شكرًا لك يا واطسون».

ثم ذهبت إلى النافذة كي أغلق الستائر.

فقال هولمز: «من فضلك لا تغلق الستائر يا واطسون، أريدها مفتوحة. الآن، من فضلك، هلا تضع لي الأوراق والرسائل على طاولتي حتى تكون بمتناول يدي. ممتاز يا واطسون! والآن، هلا تحضر لي الصندوق الصغير الموجود على رف المدفأة».

عندما انتهيت من كل ذلك، أومأ هولمز برأسه.



ثم قال: «حسنًا، من فضلك يا واطسون، هلا تقوم بإزالة غطاء الصندوق باستخدام ملقط السكر الموجود على صينية الشاي. لا تلمس الغطاء بأصابعك. ضعه هنا بين الأوراق. جيد! يمكنك الآن الذهاب وإحضار السيد كولفرتون سميث، القاطن في 13 شارع بيرك الجنوبي».

كدت أغير رأيي بشأن إحضار طبيب الآن؛ إذ بدا هولمز ضعيفًا ومشوشًا جدًّا بحيث لا ينبغي تركه بمفرده. كنت سأطلب من السيدة هدسون أن تراقبه، لكنها كانت لا تزال خائفة جدًّا، فما زلت أسمع بكاءها من المطبخ، ولكن هولمز كان مصرًّا على أن أذهب.

فقلت له: «لم أسمع قط عن السيد كولفرتون سميث هذا. هل أنت متأكد من أنه أفضل طبيب في هذا النوع من الأمراض؟».

رد هولمز: «إنه ليس طبيبًا من الأساس يا عزيزي واطسون، لكنك ستتفاجأ حين تعرف أن الشخص الأكثر خبرة في هذا المرض هو في الواقع أحد مزارعي القهوة». وتوقف ليأخذ نفسًا، ثم تابع: «السيد سميث شخص مشهور جدًّا في إندونيسيا، وهو الآن يزور لندن؛ فقد تفشى هذا المرض في مزرعته، لكن لم يكن هناك أطباء أو مستشفيات قريبة لتقديم المساعدة، فدرس هو المرض بنفسه».

أغمض هولمز عينيه فجأة وأخذ يصر على أسنانه بينما أصابته نوبة من الألم. وعندما تجاوزها استرخى وجهه، وتابع حديثه بصوت هامس يكاد يُسمع:

«لم أكن أريدك أن تذهب إليه قبل الساعة السادسة؛ لأنني أعرف أنك لن تجده بمكتبه. السيد سميث رجل ذو عادات صارمة، لكنني متأكد من أنه يستطيع مساعدتي. من فضلك، أتوسل إليك أن تقنعه بالمجيء إلى هنا وإفادتنا بخبرته الفريدة في هذا المرض ومعالجتي».

خلال الساعات القليلة التي قضيتها مع هولمز تغير وجهه نحو الأسوأ؛ إذ كانت البقع الحمراء على خديه أغمق وجبهته تتصبب عرقًا غزيرًا.



ثم تابع هولمز قائلًا: «وستوضح له الحالة المرضية التي أنا عليها بالضبط. اصدُقه القول، وأخبره بما تفكر فيه الآن، أخبره بأنني أحتضر وأهذي. انظر هنا - هل قاع المحيط بأكمله مليء بالمحار؟ فهناك الكثير منهم. آه! أشعر بأنني سأُجن. أليس من الغريب كيف يتحكم الدماغ في العقل، ويشل كل جزء آخر من الجسد؟! يا له من عقل عجوز!.. ماذا كنت أقول يا واطسون؟».

قلتُ وأنا أنظر إلى هولمز بارتباك تام: «تعليمات للسيد كولفرتون سميث».

رد هولمز: «آه، نعم. تذكرت. حياتي تعتمد عليه. توسل إليه يا واطسون، فعلاقتنا ليست طيبة، ولم نعد صديقين كما كنا؛ فثمة أمر يتعلق بابن أخيه. لقد اشتبهت أنه ارتكب عملًا إجراميًا وواجهته بالأمر، ما جعل الصبي يتعرض لميتة رهيبة. توسل إليه يا واطسون، وأحضره إلى هنا بأي وسيلة؛ فهو الوحيد الذي يمكنه إنقاذ حياتي!».

قلت: «سأحضره في عربة حتى لو اضطررت إلى حمله إليها».

قال هولمز: «لا تفعل هذا! عليك إقناعه بالمجيء. ثم عليك العودة إلى هنا قبله. تعلل بأي عذر حتى لا تأتي معه. لا تنسَ ذلك يا واطسون، لا تخذلني؛ فأنت لم تخذلني قط… هل لدى المحار أي أعداء مفترسين؟ وإن لم يكن لديها، فهل سيمتلئ العالم بالمحار؟ هل سيتعلمون العيش على الأرض؟ لا، لا! كم سيكون ذلك فظيعًا… عدني يا واطسون بأنك ستخبره بمدى سوء مرضي».

قلت، محاولًا بذل قصارى جهدي حتى لا أظهر خوفي الشديد: «نعم أعدك بذلك».

الفصل الرابع

تركت هولمز على مضض، وشعرت بثقل كل خطوة أخطوها عبر السجادة وخارج الشقة، كما لو كان عقلي يطلب مني البقاء.

وبينما كنت أنزل الدرج، كنت لا أزال أسمع كلماته السخيفة عن المحار ترن في أذني. كم هو مأساوي أن يثرثر هذا الرجل الذكي بمثل هذا الهراء!

وقفت السيدة هدسون أسفل الدرج تمسح دموعها بمنديل، ثم تمتمت قائلة: «أوه، ما يحـــدث لــه فظيع جدًّا يــا دكتـــور واطسون، يا له من أمر مرعب! ماذا سنفعل إذا فقدناه؟».



ربتُّ كتفها بهدوء، وناولتها منديلًا نظيفًا وخرجت من الباب.

عندما خرجت إلى الشارع الضبابي، رفعت عيني إلى النافذة ذات الإضاءة الخافتة. كان بإمكاني سماع صوت هولمز العالي والرفيع وهو يهذي بجنون.

كان قد أعطاني مفتاح باب غرفة نومه في حال قرر أن يحبس نفسه. وضعت المفتاح في جيب سترتي، وتوجهت إلى الرصيف كي أستقل إحدى العربات.

وفجأة ظهر رجل من الضباب، وسألني: «كيف حال السيد هولمز يا سيدي؟».

كان أحد أصدقائنا القدامى، وهو المفتش مورتون من سكوتلاند يارد.



رددتُ عليه: «إنه مريض جدًّا».

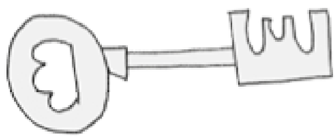
نظر إليَّ المفتش بطريقة غريبة، واعتقدتُ للحظة أنني رأيت لمعة من السعادة في عينيه، ولكن ربما كان ذلك مجرد خدعة من الضوء المنبعث من مصباح الشارع فوقنا.

قال المفتش: «لقد سمعتُ شائعة عن مرضه، وأردتُ أن أتحقق بنفسي من صحة الأمر. يا له من أمر محزن!». ومرة أخرى، بدا كما لو كان يخفي ابتسامة.

عبستُ وشعرت بالحيرة بشأن هذا الأمر لحظة، ولكن في تلك اللحظة كانت العربة قد وصلت فقفزت إلى داخلها على الفور.

حييتُ المفتش، وقلت له: «سأقدم له أطيب تمنياتك»، وأغلقت نوافذ العربة كي أتجنب برد نوفمبر.

كان شارع بيرك الجنوبي محاطًا على كلا الجانبين بصفوف من المنازل الجميلة. أما المنزل رقم 13 الذي توقفنا أمامه، فكان عبارة عن مبنى كبير به سور قديم الطراز يحيط بالحديقة الأمامية. وكان للمنزل باب أمامي ضخم ذو مصراعين مصنوع من الخشب الأسود، ومُزين بمقرع نحاسي لامع وصندوق بريد.



في اللحظة التي توقفت فيها العربة ونزلت، انفتح باب المنزل، ووقف كبير الخدم في المدخل وقد بدا محاطًا بوهج وردي آتٍ من مصباح كهربائي.

قلتُ وأنا أصعد درج المنزل الأمامي: «أودُّ أن أقابل السيد كولفرتون سميث. إنه أمر عاجل جدًّا».



سأل كبير الخدم: «ومن يريده؟».

أجبتُ: «دكتور جون واطسون».

يبدو أن اسمي المتواضع لم يعجب كبير الخدم ولا سيده؛ إذ إنني سمعتُ عبر الباب المفتوح صوتًا عاليًا متذمرًا يقول: «من هذا؟ وماذا يريد؟ كم مرةً قلتُ يا عزيزي ستابلس ألَّا يزعجني أحد في أثناء ساعات دراستي؟».

قال كبير الخدم بصوت لطيف ومهذب: «أنا آسف جدًّا يا سيدي. اسم الرجل هو دكتور جون واطسون. إنه يود أن يراك لأمر عاجل».

قال السيد سميث: «حسنًا، لن أقابله. لا يمكنني قطع عملي بهذه الطريقة. قل له إنني لستُ في المنزل. أخبره بأن يأتي في الصباح إذا كان هناك أمر ضروري للقائي».

مرة أخرى، تمتم كبير الخدم لسيده بلطف: «إنه يبدو منزعجًا يا سيدي. سيكون من الوقاحة إبعاده هكذا».

قال السيد سميث: «أنا لا أهتم بانزعاجه يا ستابلس. قل له أن يأتي في الصباح أو يمكنه البقاء بعيدًا. فلا يجب قطع عملي هكذا».

فكرت في هولمز وهو يتقلب في سريره مريضًا، وقد أصابه الألم والحمى، وربما يعدُّ الدقائق حتى أصل إليه بالمساعدة، وعلمتُ أن هذا ليس وقت التصرف بأدب، فحياته تعتمد على سرعتي.

وقبل أن يأتي كبير الخدم إليَّ برسالة سيده، تجاوزته إلى داخل القاعة، ونظرت حولي بحثًا عن الغرفة التي جاء منها صوت السيد سميث.

الفصل الخامس

عثرت على الغرفة وفتحت الباب. عندما رآني الرجل قفز من فوق كرسيه القابع بجوار المدفأة مصدرًا صرخة غضب شديدة.

كان وجهه أصفر اللون، مُجعدًا ودهنيًّا. اهتز ذقنه المزدوج وحملق إلى وجهي، عيناه الرماديتان الغاضبتان تتوعدان من تحت حاجبيه الكثيفين. وكان يرتدي على رأسه الكبير قبعة مخملية زرقاء اللون.



وعندما أمعنـــت النظـــر إليـــه، استغربتُ مــن أنـــه رغـم ضخامة رأس الرجل، فإنه بدا صغيرًا جدًّا وضعيفًا وبدا ظهره منحنيًا.

صاح الرجل: «ما هذا؟ ما هذه الوقاحة؟! ألم أقل إنني سأراك صباح الغد؟».

فقلتُ: «أنا آسف، لكن الأمر لا يحتمل التأخير. إن السيد شيرلوك هولمز...».

كان لذكر اسم صديقي تأثير استثنائي على الرجل؛ إذ تلاشت نظرة الغضب التي ارتسمت على وجهه في لحظة.

سألني: «هل أتيت من عند السيد هولمز؟».

قلتُ: «لقد تركته للتو».

قال: «وكيف حاله؟».

لم أتمكن من قراءة تعبير وجه الرجل بالضبط، لم أعرف ما إذا كان نابعًا من الإثارة أم القلق.

قلتُ: «ليس على ما يرام».

قال السيد سميت وهو يشير إلى كرسي: «من فضلك اجلس»، ثم جلس على كرسيه.

وبينما كان يجلس، ألقيت نظرة خاطفة على وجهه في المرآة المعلقة على الحائط. وأكاد أقسم إنه قد ارتسمت على وجهه ابتسامة شريرة، ولكن عندما نظر إليَّ كان ينظر بلطف واهتمـــام. هـل أتخيل هـــــــذه الأمور مرة أخرى



قـــال لي: «يؤســـــفني أن أسمع أن السيد هولمز ليس على ما يرام. أنا أعرف السيد هولمز من خلال بعض التعاملات التجارية التي أجريناها معًا، لكنني أعلم أنه رجل رائع وموهوب جدًّا. إنه مولع بالجريمة كما أنا مولع بالأمراض؛ فهو يحارب الشر، كما أحارب أنا الفيروسات».

أومأت برأسي وأنا أتساءل بداخلي عن طبيعة العمل الذي قد يقوم به هولمز مع هذا الرجل.

تابع السيد سميث حديثه، مشيرًا إلى صف من الزجاجات والجِرار موضوع على طاولة جانبية: «هذه سجوني، داخل قضبانها يقضي بعض أخطر أنواع البكتيريا والفيروسات في العالم عقوبتهم بالسجن».

ارتجفتُ رعبًا من الفكرة، وقلتُ: «إن السيد هولمز يريد رؤيتك بسبب معرفتك الخاصة بالأمراض. إنه يثق بمهارتك كثيرًا، إنه يعتقد أنك الرجل الوحيد في لندن الذي يمكنه مساعدته».

انتفض السيد سميث في حالة صدمة، وسقطت قبعته من فوق رأسه إلى الأرض.

سألني: «لماذا؟ لماذا يظنُّ السيد هولمز أنني أستطيع مساعدته؟».

فقلتُ: «بسبب معرفتك بأمراض الشرق».

قال: «ولكن كيف يعرف أن المرض الذي أُصيب به جاء من الشرق؟».

قلتُ: «لأنه كان يعمل على قضية في المرسى؛ حيث يوجد الكثير من السفن والبحارة من شرق آسيا».

أومأ السيد سميث برأسه قبل أن ينحني لالتقاط قبعته.

ثم قال: «حسنًا، فهمت. منذ متى وهو مريض؟».

قلتُ: «منذ نحو ثلاثة أيام».

سأل الرجل: «هل يعاني من الهذيان؟ هل يقول الكثير من الأشـــياء الغريبة؟».

قلتُ: «نعم. بين الحين والآخر يثرثر ببعض الهراء. لقد تأثر عقله بالتأكيد».

تأفف الرجل قائلًا: «هذا يبدو خطيرًا. وسيكون من القسوة عدم الذهاب عندما يطلب مني المساعدة. ورغم أنني لا أحب أن ينقطع عملي يا دكتور واطسون، فإنه ظرف استثنائي. سوف آتي معك في الحال».

وفجأة تذكرتُ أن هولمز أصر على أن أعود إلى شارع بيكر قبل السيد سميث.

فنهضت عن كرسي على الفور، وقلتُ: «معذرة يا سيد سميث، أنا لديّ موعد عاجل آخر، لكنني سأقابلك هناك في أقرب وقت ممكن».

قال السيد سميث: «حسنًا. سوف أقابلك هناك. من فضلك دوِّن العنوان لسائس العربة، فذاكرتي سيئة. وتوقع وصولي في غضون نصف ساعة».

ثم وقف ودفع قطعة من الورق وقلماً رصاصيًا عبر الطاولة نحوي.

كتبتُ العنوان ثم ودعته بشكل سريع قبل أن أنطلق نحو الباب.

ثم عدتُ إلى شارع بيكر والخوف يعتصر قلبي. كنت خائفًا أن يكون حدث الأسوأ أثناء غيابي.



الفصل السادس

وقفتُ خارج غرفة نوم هولمز، وأخذت نفسًا عميقًا لأُهدئ أعصابي، ثم ضغطتُ المقبض ودفعت الباب ببطء شديد.

أتى صوت من السرير يقول: «مرحبًا يا واطسون».

تنفست الصعداء وسقطت على الفور على الكرسي. وشعرت براحة كبيرة حين رأيت هولمز قد تحسن في وقت غيابي. كان مظهره مروعًا كالعادة، لكن عقله كان واعيًا. لم يكن هناك أي أثر للهذيان والثرثرة التي كانت من قبل. كان صوته لا يزال ضعيفًا ومتقطعًا، لكنه كان مليئًا بالعزم والقوة.



وسألني على الفور: «هل قابلته يا واطسون؟».

أجبتُ: «نعم، وهو قادم».

رد هولمز: «رائع يا واطسون! رائع! أنت أفضل صديق يمكن للمرء أن يتمناه».

قلتُ: «كان يريد المجيء معي، ولكنني تذكرت تعليماتك».

قال هولمز: «حينها لم يكن الأمر لينجح أبدًا يا واطسون. كان سيصير مستحيلًا. من الجيد أنك عدت وحدك. هل سأل عما أمرضني؟».

قلتُ: «نعم. وأخبرته بعملك في المرسى، حيث ترسو جميع السفن القادمة من الشرق. وقلت إن هذا هو المكان الذي لا بد أنك أُصبت فيه بالمرض».

رد هولمز: «بالضبط! أحسنت يا واطسون. لقد فعلت كل ما يمكن لصديق جيد أن يفعله. الآن عليك الاختفاء يا صديقي».

قلتُ: «لن أفعل ذلك بالتأكيد! أريد أن أنتظر وأسمع رأيه يا هولمز».

قال هولمز: «أعلم ذلك، ولكن أعتقد أن رأيه سيكون أكثر صدقًا إذا ظن أننا بمفردنا. ليس عليك المغادرة يا صديقي. هناك مساحة كافية خلف رأس سريري يمكنك الاختباء بها».

قلتُ: «الاختباء؟ هذا جنون يا عزيزي هولمز!».

رد هولمز: «ليست هناك طريقة أخرى يا واطسون. لا يوجد مكان آخر للاختباء في هذه الغرفة الصغيرة. عليك الاختباء حتى لا يشك السيد سميث في أي شيء».

وفجأة، اعتدل هولمز في جلسته ومد رقبته نحو النافذة، وقال: «أستطيع سماع عجلات العربة يا واطسون. هيا، أسرع! إذا كنتُ حقًّا أقرب أصدقائك، فافعل ما أطلبه منك. اختبئ! ولا تتحرك مهما حدث - هل تسمعني؟ لا تتكلم، ولا تتحرك. فقط استمع».

وفي لحظة، تلاشت قوة هولمز، وتحول صوته مجددًا إلى همهمة منخفضة لرجل مريض وغير واعٍ.

هُرعت لأختبئ خلف رأس السرير، ثم جلست القرفصاء. ومن حظي أن مصباحَي الغاز كانا غير مضاءين بشكل كامل، لذا تمنيت ألا تتم رؤيتي.

سمعت دق جرس الباب الأمامي، ثم سمعت صوت السيدة هدسون الخافت وهي ترحب بشخص ما. بعدها سمعت وقع خطوات بطيئة حذرة تصعد الدرج، وصرير الباب وهو يُفتح. وسمعت تنشق السيدة هدسون قبل أن ينغلق الباب، ثم اقتربت الخُطى البطيئة نفسها من السرير، فحبست أنفاسي.



اندهشت؛ إذ طالت فترة الصمت قليلًا. وتخيلت أن السيد سميث واقف بجوار السرير ويحدق إلى هولمز. يا تُرى ما تعبير وجهه الآن؟ لم أستطع النظر لكي أتحقق.

وأخيرا كُسر الصمت.

قال السيد سميث: «هولمز! سيد هولمز! ألا تستطيع سماعي يا هولمز؟». كانت لهجته مُلحَّة، كما لو كان يحاول إيقاظ شخص نائم.

كان هناك صوت حفيف الملاءات، كما لو أنه كان يهز صديقي المريض من كتفه بعنف.

همس هولمز: «أهذا أنت يا سيد سميث؟ اعتقدتُ أنك لن تأتي».

فضحك السيد سميث.

وقال: «ومع ذلك، ها أنا هنا. أنا لست شخصًا شريرًا يا هولمز. أنت عدوي ومع ذلك جئت لمساعدتك».

قال هولمز: «هذا لطف شديد منك، وأنا أقدِّر معرفتك الفذة».

ضحك السيد سميث وقال: «أنت الرجل الوحيد في لندن الذي يُقر بمعرفتي الفذة. ما الذي أصابك؟».

قال هولمز: «إنه المرض نفسه الذي قتل ابن أخيك، فيكتور».

رد السيد سميث: «آه! هل تعرفت على الأعراض؟».

قال هولمز: «تمامًا».

رد السيد سميث: «حسنًا، لن أتفاجأ إن كان المرض نفسه. وإن كان هو، فالوضع سيئ؛ فقد تُوفي المسكين فيكتور في اليوم الرابع من إصابته بالمرض - وكان شابًّا قويًّا يتمتع بصحة جيدة. وكان من الغريب جدًّا أن يُصاب بمرض آسيوي نادر في قلب لندن، والأغرب من ذلك أنه المرض نفسه الذي كنت أدرسه. يا لها من مصادفة يا هولمز!».

قال هولمز: «أعرف ما فعلته».

قال السيد سميث: «آه، لقد عرفت، أليس كذلك؟ حسنًا، لا يمكنك إثبات هذا. لقد قمت بنشر شائعات سيئة عني ودمرت سمعتي، وعندما وقعت في ورطة، أتيت إليّ بكل وقاحة طلبًا للمساعدة. أي لعبة هذه يا تُرى؟».



سمعت صوت هولـــمز وهـــو يتنفس بصعوبة، ثم قال لاهثًا: «ناولني بعض الماء من فضلك».

قال السيد سميث: «لقد اقتربت نهايتك يا صديقي. لكنني لا أريدك أن تموت قبل أن أتحدث معك؛ لذا تفضل، يمكنك تناول بعض الماء».

سمعت صوت هولمز وهو يعاني من أجل الجلوس والاحتساء من الكوب. كنت أرغب بشدة في الخروج من مخبئي والتخفيف عنه خلال لحظاته الأخيرة، لكنني وعدته بأنني لن أفعل ذلك.

قال السيد سميث بحدة: «لا تشربه كله مرة واحدة، هل تفهم ما أقوله؟».

تأوه هولمز قائلًا: «نعم أفهم. من فضلك يا سيدي، افعل ما بوسعك لإنقاذ حياتي. لنطوِ صفحة الماضي، وأقسم لك إنني سأنسى كل ما أعرفه. من فضلك عالجني وسوف أنساه».

قال السيد سميث: «تنسى ماذا؟».

رد هولمز: «سأنسى وفاة فيكتور سافاج. لقد كدت تعترف للتو بأنك تسببت في موته. سوف أنسى ما سمعته».



قال السيد سميث: «نعم لقد قتلتُه. ولكن لا يهمني إذا كنت ستنسى الأمر أم لا؛ فأنت لن تدلي بشهادتك داخل منصة الشهود في المحكمة. أنت ستدخل قفصًا آخر قريبًا يا عزيزي، أؤكد لك ذلك».

همس هولمز بصوت ضعيف جدًّا لدرجة أنني اضطررت إلى إجهاد أذني لسماعه: «نعم، أشعر بذلك».

قال السيد سميث: «الشخص الذي جاء ليأخذني - نسيت اسمه - قال إنك أصبت بالمرض في المرسى».

رد هولمز: «هذا هو المكان الوحيد الذي أعتقد أنني أُصبت فيه».

قال السيد سميث: «أنت فخور بذكائك يا هولمز، أليس كذلك؟ تعتقد أنك ذكي، لكنك قابلت شخصًا أكثر ذكاءً منك. حاول استرجاع الأمر يا هولمز، ألا يمكنك التفكير في طريقة أخرى يمكن أن تُصاب بها بهذا المرض؟».

رد هولمز: «لا يمكنني التفكير؛ لقد ذهب عقلي. من فضلك يا سيدي ساعدني!».

أدركت فجأة أنني لم أر هولمز ضعيفًا إلى هذا الحد من قبل. لقد كان دائمًا قويًّا جدًّا ومسيطرًا. انقبض حلقي من هول ما يحدث وقاومت الرغبة في البكاء.

قال السيد سميث بازدراء: «حسنًا، سأساعدك. لن أعالجك، لكنني سأساعدك على فهم كيف أُصبت بالمرض بالضبط. أود منك أن تعرف قبل أن تموت».

توسَّل هولمز قائلًا: «من فضلك أعطني شيئًا يخفف ألمي!».

رد السيد سميث: «مؤلم، أليس كذلك؟ أتتذكر الأشخاص المصابين بهذا المرض وهم يصرخون من شدة الألم قبل أن يموتوا. أعتقد أنه يسبب تشنجًا رهيبًا».

قال هولمز: «نعم، نعم، إنه تشنج، أشعر بأن عظامي كلها تتداخل مع بعضها».



رد السيد سميث: «حسنًا، ما دامت أذناك تعملان، فهذا كل ما يهم. الآن استمع إليّ! هل يمكنك أن تتذكر أية حادثة غير عادية حدثت لك في الوقت الذي بدأ فيه ظهور الأعراض؟».

قال هولمز: «كلا، على الإطلاق».

قال السيد سميث: «فكر مرة أخرى».

رد هولمز: «لا يمكنني فأنا متعب جدًّا».

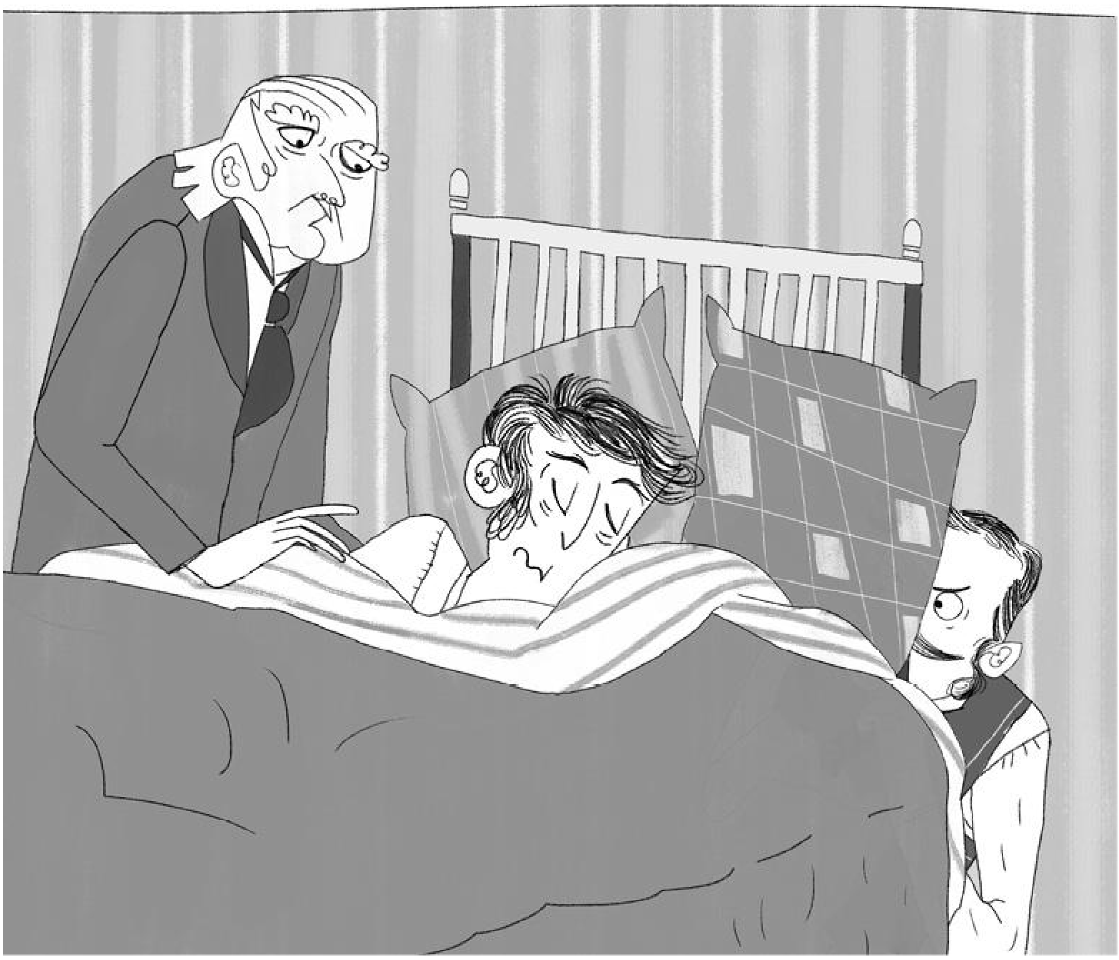
قال السيد سميث: «حسنًا، سأساعدك إذن. هل وصلك أي شيء بالبريد؟».

سأل هولمز: «بالبريد؟».

قال السيد سميث: «صندوق، على سبيل المثال».

قال هولمز: «أنا أفقد الوعي - سأرحل عن هذا العالم!».

قال السيد سميث بنبرة تذمر وبصوت عالٍ غاضب: «استمع إليَّ يا هولمز!»، ثم سمعته يهز هولمز المسكين، فشعرت بالغضب الشديد. وبالكاد منعت نفسي من النهوض من مخبئي، ومن شدة غضبي ضغطت بأظافري على راحتي يدي، وشعرت بدمعة تنهمر على خدي.



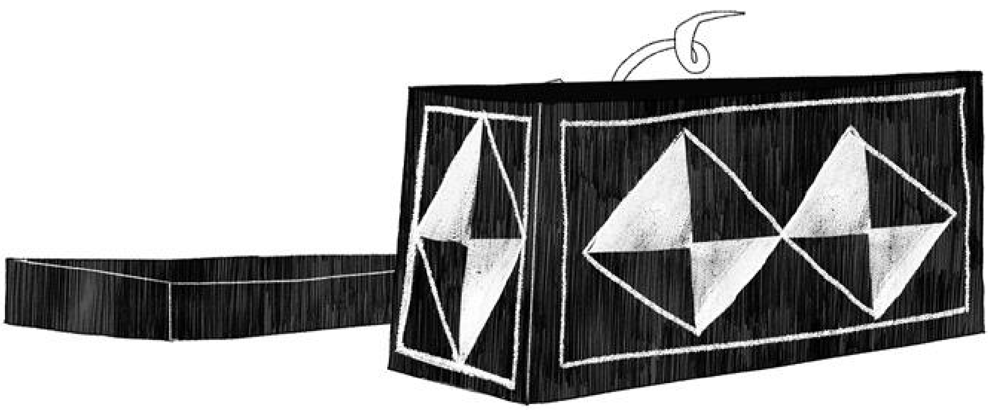
صاح السيد سميث: «يجب أن تسمعني يا هولمز! سوف تسمعني. هل تتذكر صندوقًا صغيرًا؟ أتى إليك يوم الأربعاء. لقد فتحته - هل تتذكر؟».

رد هولمز: «نعم، نعم، لقد فتحته. كان به زنبرك حاد بداخله. كانت دعابة...».

قال السيد سميث بغضب شديد: «لم تكن دعابة أيها الأحمق! من طلب منك التدخل في شئوني؟ لو تركتني لحالي، لما آذيتك».

شهق هولمز قائلًا: «نعم، تذكرته. لقد جعل الزنبرك إصبعي ينزف. إنه هذا الصندوق - الموجود هنا على الطاولة».

قال السيد سميث: «هذا هو بعينه». وسمعت نقرة كأن السيد سميث أعاد الغطاء بلطف إلى الصندوق الصغير، ثم سمعت صوت احتكاك سطح الصندوق الخشبي بالحرير وهو يضعه في جيب معطفه. وتابع قائلًا: «وها أنا آخذ آخر دليل كان معك يا هولمز. ولكنك صرت تعرف الحقيقة. ويمكنك الآن مغادرة الحياة وأنت تعلم أنني أنا الذي قتلتك. لقد عرفت الكثير عما حدث لفيكتور سافاج، لذا سأرسلك لتواجه المصير نفسه. لقد اقتربت نهايتك يا هولمز، أما أنا فسأجلس هنا أشاهدك وأنت تموت».



الفصل السابع

كنت جالسًا خلف الجزء الخلفي لسرير هولمز، وسمعت صديقي المريـــض يتمتــم بصـــوت غير مسموع.

ثم سأل السيد سميث: «ما هذا؟ أشعل ضوء المصابيح. لقد حل الظلام، أليس كذلك؟ حسنًا، سأقوم برفع الإضاءة حتى تتمكن من الرؤية بشكل أفضل».

ثم سمعت السيد سميث يتحرك بسرعة في غرفة النوم، ويعلي إضاءة مصابيح الغاز. وسرعان ما أصبحت الغرفة أكثر إشراقًا.

سأل السيد سميث وهو يتلفظ بالكلمة الأخيرة: «هل من شيء يمكنني أن أفعله لك قبل وفاتك يا صديقي؟ هل أحضر لك شيئًا؟».

رد هولمز: «عود ثقاب وسيجارة».

كدتُ أضحك بصوت عالٍ؛ فقد كان هولمز يتحدث بصوته الطبيعي! ربما كان وهنًا بعض الشيء، لكنه كان الصوت الذي أعرفه تمامًا. ثم ساد الصمت لحظات طويلة، وتخيلت السيد سميث واقفًا في حالة ذهول تام، وهو ينظر إلى هولمز.

سأل السيدُ سميث: «ما معنى هذا؟».

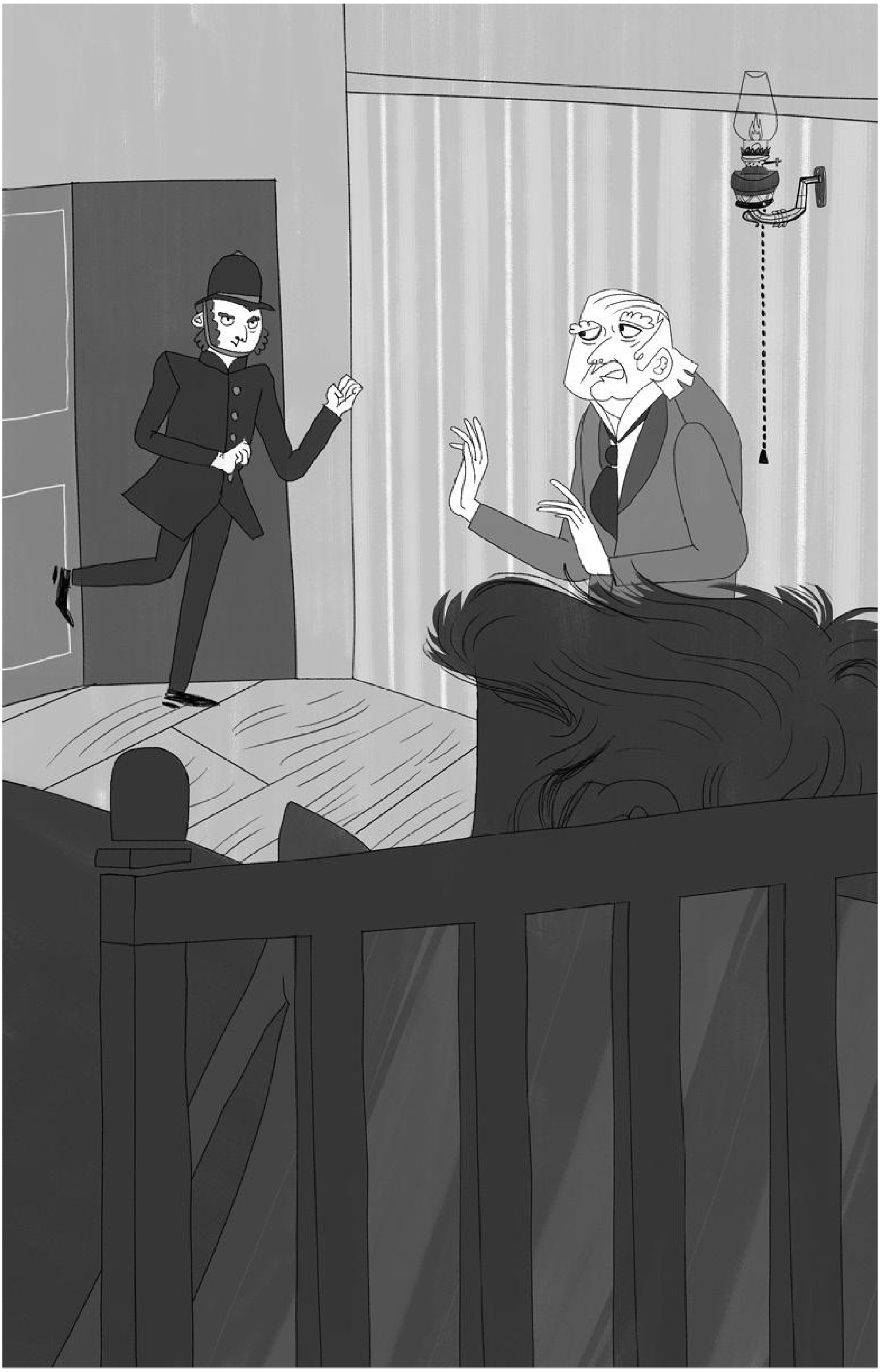
أجاب هولمز: «إن أفضل طريقة لتمثيل الدور بنجاح هي تقمصه. لمدة ثلاثة أيام وأنا لم أتناول شيئًا تقريبًا ولـــم أشرب الماء سوى ما قدمته لي للتو. وها هي سجائري».

ومن مكاني سمعت دق الباب، ثم خُطى تصعد الدرج.

قال هولمز: «هل أسمع خُطى صديق؟».

ثم فُتح الباب، وسمعت صوت المفتش مورتون يقول: «حسنًا يا هولمز. هل تم الأمر؟».

قال هولمز: «نعم، كل شيء على ما يرام، وهذا هو المجرم».



سمعت صرخات السيد سميث المذعورة تقول: «ما سبب كل هذا؟».

ثم اندفع ضابط إلى الغرفة وقال التحذيرات المعتادة: «سيد سميث، لقد أُلقي القبض عليك بتهمة قتل فيكتور سافاج. ولديك الحق في التزام الصمت، ولكن أي شيء تقوله سيؤخذ عليك، وسيتم استخدامه كدليل ضدك في المحكمة».

قال صديقي ضاحكًا: «ويمكنك إضافة الشروع في قتل شيرلوك هولمز إلى الاتهامات. لقد كان السيد سميث ذكيًا بالشكل الكافي لكي يشعل المصابيح ويعطيك الإشارة المتفق عليها أيها المفتش. وبالمناسبة، لدى المتهم صندوق صغير في الجيب الأيمن لمعطفه. أنصحك بإخراجه، لكن تعامل معه بحذر شديد، ولا تفتح الغطاء».

وبعد لحظة، تابع هولمز: «هذا كل شيء، شكرًا لك أيها المفتش. ضعه هنا. قد يكون دليلًا مهمًا في المحاكمة».

ثم حدث اندفاع مفاجئ وشجار، أعقبه صرخة من الألم.

قال المفتش مورتون: «أنت بذلك ستؤذي نفسك، لا تحاول الهرب. من فضلك قف ثابتًا»، ثم سمعت نقرة الأصفاد وهي تُغلق.

زمجر السيد سميث قائلًا: «فخ جيد! لكنه لن يثبت شيئًا! لقد طلب مني هولمز أن آتي إلى هنا لعلاجه أيها المفتش، فشعرت بالأسف عليه وجئت. والآن يدّعي بأنني اعترفت بشكوكه المجنونة. يمكنك الكذب بقدر ما تريد يا هولمز، فكلمتي ستكون أمام كلمتك».



حينها قفزت خارجًا من خلف السرير.

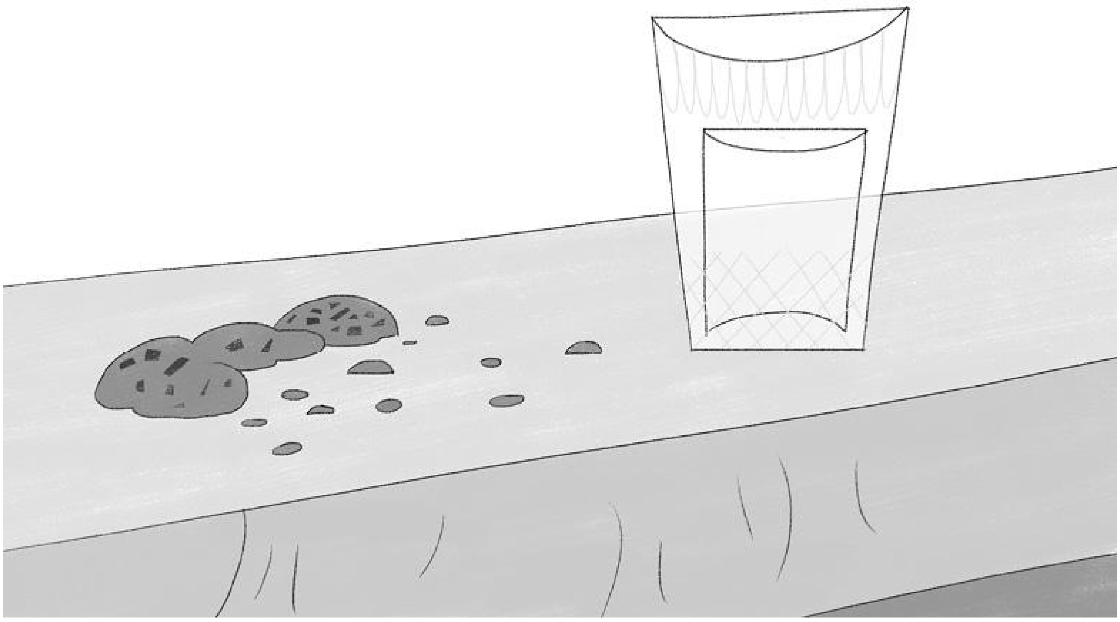
فصاح هولمز: «يا إلهي! لقد نسيت أمرك تمامًا يا عزيزي واطسون! أنا مدين لك بألف اعتذار. لست بحاجة إلى أن أقدمك إلى السيد كولفرتون سميث، أليس كذلك؟ لقد التقيتما في وقت سابق من هذا المساء».



الآن أصبح بإمكان السيد سميث أن يرى أن اللعبة قد انتهت، فهناك شاهد على كل ما قاله. كان وجهه الثقيل متجهمًا وتهدلت كتفاه أثناء خروجه مع الضابط من الغرفة.

تذكرت حينها الوقت الذي رأيت فيه المفتش مورتون بالخارج بينما كنت ذاهبًا لإحضار السيد سميث، وحينها تفاجأت بنظرة السرور على وجهه. الآن عرفت سببها؛ فقد كان مشاركًا في خطة هولمز منذ البداية. وفي الوقت المتفق عليه، كان ينتظر في الشارع حتى تأتيه الإشارة ويدخل لاعتقال الرجل.

سأل هولمز: «هل تنتظرك العربة أيها المفتش؟ سأرتدي ملابسي وأتبعك كي أدلي بشهادتي في مركز الشرطة».

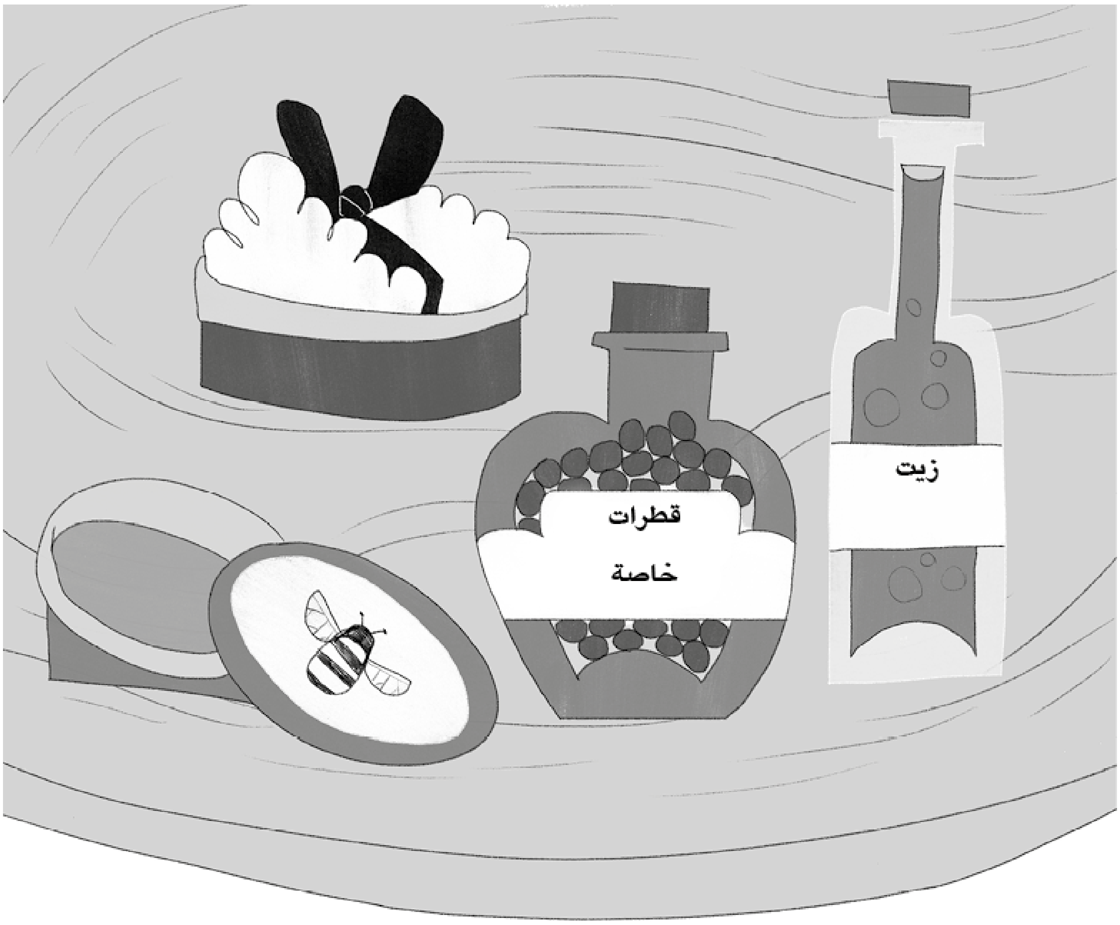


عندما غادر السيد سميث والشرطة أنهى هولمز تناول كوب الماء، وأكل قطعتين من البسكويت القديم الذي كان موجودًا بين الفوضى الموجودة على رف المدفأة.

وقال وهو يغتسل ويرتدي ملابسه: «أوه، كنت بحاجة إلى تناول ذلك. كان عليَّ أن أبدو نحيفًا ومريضًا حتى تذهب السيدة هدسون وتجلبك إليَّ، وحتى تتمكن أنت من إقناع السيد سميث بالمجيء. أتمنى ألا تغضب من كلامي يا واطسون، لكنك لا تجيد التظاهر كثيرًا، ولو كنتَ علمتَ أنني لست مريضًا حقًّا، لما تمكنت من إقناع السيد سميث بالمجيء. كان من المهم أن يأتي. وأنا آسف لأنني جعلتك تشعر بالقلق».

قلتُ: «لقد بدا وجهك مُنهكًا ومُتعبًا جدًّا يا هولمز. لقد صدقتُ حقًّا أنك تموت».

رد هولمز: «إن الصوم لثلاثة أيام لا يزيد من جمال المرء يا واطسون. أما بالنسبة للباقي، فقليل من الزيت على الجبهة لكي تبدو متعرقة، وبعض القطرات الخاصة لتكبير حدقة عيني، ووضع القليل من مسحوق أحمر الخدود على عظام الوجنتين وقشور شمع عسل النحل حول الفم، وسيصبح أمامك رجل مريض يحتضر، ثم التفوه ببعض الهراء بين الحين والآخر عن المحار والعملات المعدنية لتكتمل صورة الشخص المريض وغير المتزن».



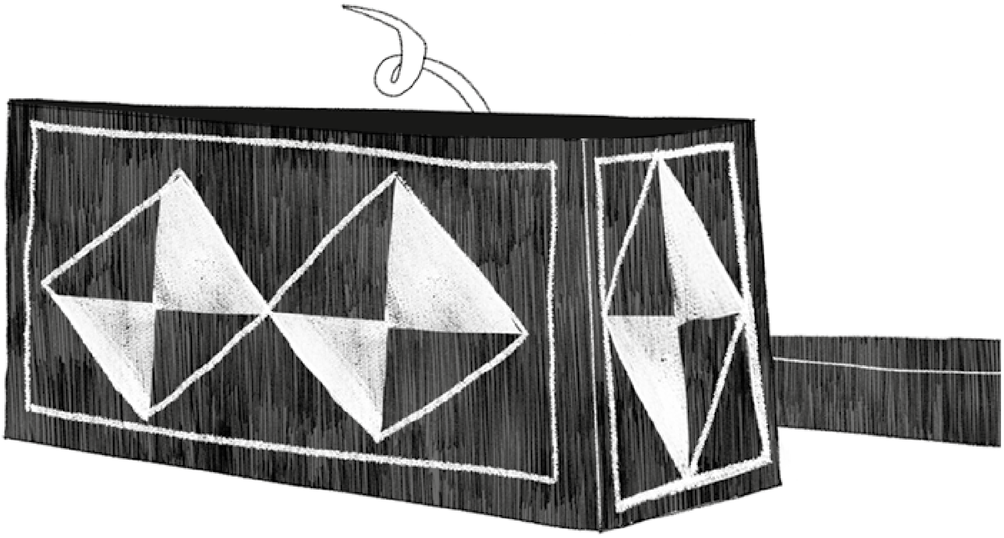
فسألته: «ولكن لماذا لم تسمح لي بالاقتراب منك؛ إذ لم تكن هناك عدوى؟».

رد قائلًا: «أليس هذا واضحًا يا واطسون؟ كنت أعلم أن مهارتك الاستثنائية كطبيب ستفضح أمري. ربما كنت أبدو ضعيفًا، لكن نبضي ودرجة حرارتي كانا طبيعيين. فيمكنني خداعك وأنت على بعد أمتار ليس أقل».

تنهدت بسعادة لسماعي أن هولمز لا يظن أنني طبيب سيئ. كان يجب أن أشك في أن كل هذا كان تمثيلًا.

ثم مددت يدي بإهمال لتفحص الصندوق الصغير الموجود على الطاولة.

فقال هولمز على الفور: «لا يا واطسون! لا تلمسه. إذا نظرت إليه من الجانب فسترى مكان انطلاق الزنبرك الحاد، مثل أنياب الثعبان عند فتحه. أظنُّ أنه كان جهازًا مشابهًا للذي استخدمه السيد سميث لقتل ابن أخيه، فيكتور سافاج المسكين. لقد قتله ليرث ماله. يا لها من قصة حزينة!».



وتابع هولمز: «ولكنني أعلم أن لديَّ أعداء يا واطسون؛ لذا فإنني دائمًا ما أشك في أي طرود صغيرة تصلني بالبريد. خطرت لي فكرة التظاهر بأن السيد سميث قد نجح في نقل العدوى لي حتى أتمكن من الحصول على اعتراف منه. أعتقد أن أدائي أظهر أنني فنان حقيقي، بل هذا أداء جدير بجائزة».

ابتسمتُ من تواضـــع هولمز المعدوم.

ثم سمعنا نقرة على الباب، بعدها فُتح ليكشف عن السيدة هدسون وهي تبدو مرتبكة تمامًا، حين رأت هولمز، فاندفعت إلى الأمام وهي تصرخ من الفرحة لتطوقه بذراعيها.



تراجع هولمز قليلًا وأمسك يديها ببساطة، وقال: «أنا أعتذر يا سيدة هدسون. لقد كان كل ذلك عملًا باسم العدالة».

بينما كانت تمسح دموع الفرح بمنديل مبلل من قبل، علمتُ أن هولمز لم يكن مدركًا تمامًا كمية الألم والذعر الذي سببه لنا.

قال هولمز: «من فضلك ساعدني على ارتداء معطفي يا واطسون. وحين ننتهي من الإدلاء بشهادتنا في مركز الشرطة، أعتقد أن تناول وجبة في مطعم سيمبسون ستكون فكرة رائعة».

ابتسمتُ وساعدته على ارتداء معطفه.




THE EVENING STANDARD
8 نوفمبر 1903
شيرلوك هولمز
يُنقَذ اليوم... مرة أخرى!
تعافى السيد شيرلوك هولمز، المحقق الاستشاري المعروف، بأعجوبة من المرض الاستوائي الذي اعتقد أنه أصابه منذ أيام فقط.
ورغم سوء حالته الصحية، نجح السيد هولمز في القبض على السيد كولفرتون سميث – وهو رجل متهم بقتل ابن أخيه، فيكتور سافاج، لكي يرث ثروته.
سيقف السيد هولمز شاهدًا رئيسيًّا في محاكمة السيد سميث الشهر المقبل.

شيرلوك هولمز

قام المحقق الخاص المشهور عالميًا شيرلوك هولمز بحل مئات الألغاز، وهو مؤلف أوراق بحثية رائعة مثل Early English Charters وThe Influence of a Trade Upon the Form of a Hand. ويربي النحل في أوقات فراغه.

دكتور جون واطسون

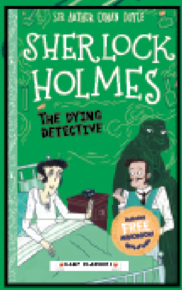
جُرح دكتور جون واطسون في أثناء مشاركته في معركة مايواند، وترك الجيش وانتقل إلى منزل 221ب بشارع بيكر. وهناك تفاجأ عندما علم أن صديقه الجديد، شيرلوك هولمز، يواجه خطرًا يوميًا في أثناء حل الجرائم، وبدأ في توثيق تحقيقاته.

يدير دكتور واطسون عيادة طبيب أيضًا.

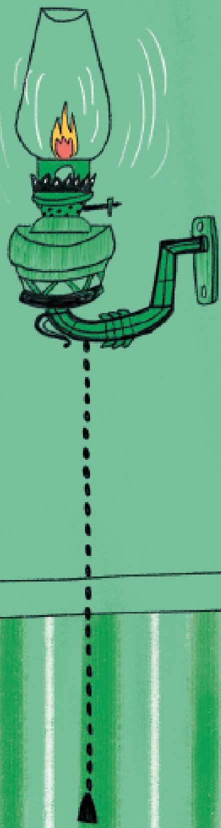
لتحميل أنشطة شيرلوك هولمز، يرجى زيارة الموقع الالكتروني

www.sweetcherrypublishing.com/resources

الغلاف الخلفي



قال هولمز: "حسـنًا يا واطسـون، أشـعر بأنني لسـت على ما يرام. يبدو أنني لسـت منيعًـا كما يظن الجميع".



لقـد تحققـت أسـوأ مخـاوف واطسـون: أفضـل صديـق لـه، شـيرلوك هولمـز، يحتضـر! يحـاول واطسـون تقديم المسـاعدة، لكن هولمز يتصرف بعناد كعادته ويرفض رؤيـة الطبيـب. ولكـن مـع الفخـاخ القاتلـة ومؤامـرات القتـل الغامضـة وصاحـب مزرعـة البـن الماكـر الـذي عليـه مواجهتـه، يبـدأ واطسـون فـي التسـاؤل بشـأن حقيقة ما يحدث...

لشراء النسخة الإلكترونية
قارئ جرير JARIR READER

Arabic edition published by Jarir Bookstore

يرجى زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Retold by: Stephanie Baudet
Licensor: Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

مكتبة جرير JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore

ISBN 628-1072-14-378-7
6 281072 143787
282208949